﴿يَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَيَعۡلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعۡلِنُونَۚ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ٤﴾ [التغابن: 4]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قبلَها:

الانتقالُ من الخلق المُطلق إلى العلم المُطلق

لمّا ابتدأتِ الآياتُ السّابقة بذكر التَّسبيح والملك والحمد، الدّالّةِ على الاعتقاد الحقِّ، وذكرت القدرة المُطلقة، ثمَّ فصَّلت في خلق السّماوات والأرض وتصوير الإنسان، وأنَّ المصير إليه سبحانه، ناسبَ الانتقال إلى ذكر العلم المُطلق؛ فإنَّ القدرة المُطلقةَ بيانٌ للحكم والهيمنة المُطلقة، وأمّا العلم المُطلق فهو بيانٌ للرّقابة، ولمّا بدأتِ الآيةُ السّابقة بذكر خلق السّماوات والأرض ثمَّ ثنَّت بذكر تصوير الإنسان؛ ناسب أن يُبدأ هنا بذكر علمِ ما في السّماوات والأرض، ثمَّ التّثنية بذكر علم ما يُسِرُّه الإنسان وما يُعلِنُه، فهو انتقالٌ في الآيتين من الكلِّ إلى الجزء، ومنَ الوسيلة إلى الغاية، فالخلق وسيلةٌ لعمل الإنسان، وعملُه هو الغايةُ الّتي أوجدَ اللّه تعالى الخلقَ لها.

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿تُسِرُّونَ﴾: الإسرارُ: خلافُ الإعلان، قال تعالى: ﴿سِرًّا وَعَلَانِيَةً﴾ [إبراهيم: 31]، وقال تعالى: ﴿وَيَعۡلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعۡلِنُونَۚ﴾ ويُستعمل في الأعيان والمعاني، والسِّرُّ: هو الحديث المُكتَّمُ في النَّفس، قال تعالى: ﴿يَعۡلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخۡفَى ٧﴾ [طه: 7]، و(أسرَرْتُ إلى فلانٍ حديثًا): أفضَيتُ إليه في خُفيةٍ، قال تعالى: ﴿وَإِذۡ أَسَرَّ ٱلنَّبِيُّ﴾ [التحريم: 3][1]، والإسرارُ هنا: ضدُّ الإعلان، وهو ما يكتمُه الإنسانُ من عملٍ.

2) ﴿تُعۡلِنُونَۚ﴾: العلانيةُ: ضدُّ السِّرِّ، وأكثر ما يُقال ذلك في المعاني دون الأعيان، يُقال: (عَلَنَ كذا، وأعلَنتُه أنا)، قال تعالى:

(1) الراغب، المفردات: (سرر).

﴿أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ۝٩﴾ [نوح: 9]؛ أي: سرًّا وعلانيةً، وقال: ﴿مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ ۝٦٩﴾ [القصص: 69]، وعِلوانُ الكتابِ: يصحُّ أن يكون من (عَلَنَ) اعتبارًا بظهورِ المعنى الّذي فيه لا بظهورِ ذاته[1]، والمُرادُ بالإعلان هنا: ما يُظهِرُه الإنسانُ من أعماله وأقواله دون اكتراثٍ.

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

تُبيِّن الآيةُ الكريمة صفةَ العلم المُطلق لله ﷻ، وقد ذكرت علمَه لما في السّماوات والأرض، كنايةً عن إحاطته ﷻ بكلِّ ما فيهما؛ فإنَّه الّذي لا تغيبُ عنه غائبةٌ، وكان ذكرُ العلم المُطلق توطِئةً استدلاليّةً لذكر الغاية من ذلك، وهو علمُه سبحانه بما يُسرُّه الإنسان ويُعلنُه، وما يجولُ في صدرِه من مكنوناتٍ وخطراتٍ وأفكارٍ، والآيةُ تُحيطُ بالكلِّ، ثمَّ تُنبِّه على الجزء، ثمَّ تُنبِّه على دقائقِ هذا الجزء، وهو ما يجولُ في الصُّدور.

علمُ الله المطلقُ أصلُ الوجود، وعلمُه بما تُكِنُّه الصُّدور أصلُ الجزاء والحساب

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغيُّ:

علّةُ فصلِ الآية عن سابقتِها:

فُصِلَ قوله تعالى: ﴿يَعْلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ عن السّابق باعتباره استئنافًا بيانيًّا، فكأنّ سائلًا سأل: وهل يعلمُ سبحانه ما تُكِنُّه صدورُنا وتُسِرُّه قلوبُنا؟ فكان الجواب بذكر العلم المطلق، ثمَّ بيان أنَّه يعلمُ السِّرَّ وأخفَى، وذلك أنّه لما ذكر: ﴿وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ﴾، والمصير حساب وجزاء للأعمال والأقوال، فتقدير السُّؤال بناءً على ما سيكون يوم الحساب من الجزاء على الأعمال الّتي يُسِرُّها النّاس.

علمُ الله تعالى المُحيطُ بالأعمال أصلُ الحسابِ يوم القيامة

غرضُ التَّعبير بالفعل المضارع:

جاء التَّعبير بصيغة المضارع ﴿يَعْلَمُ﴾ للدّلالة على شُموليّة

(1) الراغب، المفردات: (علن).

علم الله وإحاطته بكلِّ مُستجدٍّ في الزَّمان والمكان، واستقرارُ هذه الحقيقة في قلب المُؤمن يُعرِّفه بربِّه العظيم، فيحذرُ عقابَه على كل فعلٍ يصدرُ عنه، صغيرًا كان أم كبيرًا، علَنًا كان أم سرًّا، فإنَّ استحضارَ العلم الإلهيِّ والاطِّلاع الربّانيِّ، يُنمّي في القلبِ التَّقوى.

العلمُ المُحيط بالزَّمان كلِّه يقودُ إلى التَّقوى والحذرِ في العمر كلِّه

نوعُ ﴿مَا﴾ ودلالةُ استعمالها:

جاءت ﴿مَا﴾ في قوله تعالى: ﴿يَعْلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ اسمًا موصولًا، وهي من أعمِّ وأشملِ الأسماء الموصولة، حتى قال النُّحاةُ: إنَّها تقع على كلِّ شيء، وتقع على ما ليس بشيءٍ؛ لأنَّها اسمٌ مبهم شديدُ الإبهام[1]، فدلَّ ذلك على أنَّ كلَّ مُبهم على البشر معلومٌ معروفٌ لا يخفى على الله منه شيءٌ في الأرض ولا في السَّماء، والغرضُ الإحاطة والاستقصاء لكلِّ المعلومات، كما أنَّ علمَه سبحانه يستقصي السِّرَّ والإعلان.

إبهامُ الاسم الموصول إحاطةٌ بكلِّ مُبهم ورقابةٌ لكلِّ معلومٍ

فائدةُ استعمال حرفِ الظَّرفيّة:

جاء استعمال حرف الظّرفية لبيان المقصود بالجملة، وهو الإحاطةُ التامّة بالمظروف، فعلمُه ﷻ أحاطَ بما يخفى من المظروفات الّتي هي أشبه بالسَّرائر.

فائدةُ تكرارِ ذكرِ ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾:

أُعيد ذكرُ ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ في قوله تعالى: ﴿يَعْلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ مُجاراةً للآيات السّابقة، فقد ذُكرت السّماواتُ والأرض في مُفتتح السورة: ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾، ثمّ كرّر ذكرهما في الآية الثّالثة، ثمّ الرّابعة، وفائدةُ التَّكرار إزالةُ شكٍّ وتمكُّنٌ في معنى السّيطرة والهيمنة لكلِّ ما في السّماوات والأرض، ويُضافُ إلى ذلك ما قيلَ قبلُ من أنَّ الإعادة للدّلالة على أنّه تعالى قد استَوفى أدلّةَ التّوحيد، واتِّصاف ذاته الكريمة بصفات

تمكينُ المعنى مع الإحاطة الشّاملة، وعظمة المالك والملكوت

(1) السهيلي، نتائج الفكر في النحو، ص: 139.

الجلال والإكرام، على أسلوبٍ بديعٍ جمعَ فيه بين دلالة المصنوع على الصّانع، والنِّعمة على المُنعم، ونبَّه على أنَّ كلَّ واحد يكفي صارفًا للمُشركين عمّا هم فيه منَ الشِّرك[1]، وفي إعادة الذِّكر أيضا إظهارٌ لعظمة اللّه في ملَكوته[2]، فهو الّذي يُسبِّحُ له ما في السَّماوات والأرض خضوعًا، لأنَّه هو الّذي خلقَهما، وهو العالمُ بما فيهما.

نكتةُ الاكتفاء بذكرِ ﴿مَا فِي﴾ مع ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ دونَ (الأرضِ):

عدمُ تباينِ علم الله مع إحاطتِه بالكلّيات والجزئيّات

اكتفى النَّظم الكريم بذكر ﴿مَا﴾ في جانب السّماوات دون الأرض في قوله تعالى: ﴿يَعْلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾، وذلك أنَّ سياقَ الآية في العلم، وهي تختلفُ عن الآية الأولى الّتي أُعيد فيها ذكرُ ﴿مَا﴾ وحرف الظرفية؛ وذلك لأنَّ تسبيح ما في السّماوات يختلفُ عن تسبيح ما في الأرض، فكان التَّباينُ بينهما سببًا في استقلال كلِّ جملة بما جاءت عليه، أمّا هنا فعلمُه سبحانه نُظِمَ على نظامٍ واحد، وعلى حدٍّ واحدٍ، فصار علمُه بما تحت الأرض كعلمِه بما فوقَها، وعلمُه في السّماء كعلمِه بما في غيرها، كما كان علمُه بما يكون كعلمِه بما كان، لم يختلف ولم يتباين[3]، فالعلم مُحيطٌ بالجميع إحاطةً واحدةً، فعلمُه ما في السّماوات لا يختلفُ أبدًا عن علمِه ما في الأرض، فكان عدم إعادة ﴿مَا فِي﴾ تنبيهًا على الوحدة في العلم، بخلاف سياقِ التّسبيح، فإنَّ ما يكون في السّماوات يختلفُ عمّا يكون في الأرض.

نوعُ الواو ودلالتُها:

الواو في قوله تعالى: ﴿وَيَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ﴾ عاطفةٌ من عطف الخاصِّ على العامِّ، ونكتةُ العطف دفعُ توهُّم المشركين أنَّ اللّه لا يعلم سرائرَهم وخفاياهم.

(1) الآلوسي، روح المعاني: 7/ 370.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 28/ 265.
(3) الإسكافي، درة التنزيل: 1/ 1279.

دلالةُ تكرارِ فعل: (يَعْلَمُ):

تنـوُّع الأغـراض عـلّـةٌ في تـكـرار الألـفـاظ وتنبيهٌ على الاختلاف

كُرِّر ذكرُ فعلِ (يَعْلَمُ) في قوله تعالى: ﴿وَيَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَۚ﴾؛ لاختلاف أغراض ذكر العلم، فذِكرُ علم ما في السّماوات والأرض بغرض الإحاطةِ، وذِكرُ علم السِّرِّ والعلَن بغرض الزَّجر والتَّحذير، فلمّا اختلف الغرضُ حسُنَ التّكرارُ، ولما كان الاطِّلاع - في وهمِ النّاس - على أحوال العقلاء أصعبَ، قال مُؤكِّدًا بإعادة العامل: ﴿وَيَعْلَمُ﴾؛ أي: على سبيل الاستمرار[1]، فهو يعلم أعمالَ العباد وأقوالهم، وسيُحاسبُهم عليها.

براعةُ تنوُّعِ المعنى في استعمالِ ﴿مَا﴾:

التّنبيه والتّحذير مـن سـرائـر الأعمال وعلَنِها مع الإحاطةِ بها

تحتملُ ﴿مَا﴾ في قوله تعالى: ﴿وَيَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَۚ﴾ أن تكون موصولةً، والمعنى: ويعلم الّذي تُسرّون والّذي تُعلِنون، ففيه تنبيهٌ وتحذيرٌ من أعمالهم، كأنَّه قال: يعلم الّذي تُسرّونه ظنًّا أنَّ الله لا يعلمُه. وتحتمل المصدريّةَ، والمعنى: يعلم إسرارَكم وإعلانَكم، ففيه معنى الشُّيوع والذُّيوع؛ أي: يعلم كلَّ ما أسررتم وأعلنتم، والمعنيان مُرادان، ولا يمنع أحدُهما من الآخر.

فائدةُ التَّعبير بالفعل المضارع:

التّـنـبـيـه على الـتّـكـلـيـف بالإيمان وعمل الـصّـالـحـات، والـتّـحـذيـرُ من خلاف ذلك

آثر النَّظمُ الكريمُ توظيف الفعل المضارع ﴿تُسِرُّونَ﴾، و﴿تُعْلِنُونَۚ﴾ ليدلَّ على تجدُّد الأعمال الّتي يقومُ بها النّاسُ من سرٍّ وعلَنٍ؛ وأنَّ أعمالهم تتجدَّدُ على الدَّوام ما دامتِ الحياةُ قائمةً، ففيه تنبيهٌ على التَّكليف بالإيمان والأعمال الصّالحة، والتَّحذير من خلاف ذلك، وللإشارة إلى سعة علمِ الله بكلِّ سرٍّ وعلَنٍ، وعزَّز الشُّمولَ الإسنادُ إلى واو الجماعة الدّالةِ على كلِّ مُسِرٍّ ومُعلِنٍ.

فائدةُ حذفِ مُتعلّق فعل الإسرار والإعلان:

حُذِفَ مُتعلق فعل الإسرار والإعلان في قوله تعالى: ﴿وَيَعْلَمُ مَا

(1) البقاعي، نظم الدرر: 20/ 109.

تُسِرُّونَ وَمَا تُعۡلِنُونَۚ﴾، بيانًا للعموم، فهو عالم بكلِّ شيء مهما عظُم، وما أُعلن وما أُسِرَّ، فهو يعلم كلَّ ما يصدرُ عن الإنسان، سواء حرص على إسراره وكتمانه، أم أظهره وكشف إعلانه.

العمومُ والإطلاقُ مع الإبهام والإيجاز

نكتةُ تقديم فعل الإسرار على الإعلان:

قُدِّم ذكرُ فعل الإسرار على الإعلان في قوله تعالى: ﴿وَيَعۡلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعۡلِنُونَۚ﴾؛ لأنَّ المقصود من السّياق التَّنبيهُ على الأخفَى في ظنِّ النّاس، وذِكرُ العلَنِ من باب التَّتميم.

فنُّ بديعِ الطِّباق:

دلَّ الجمعُ بين الإسرار والإعلان في قوله تعالى: ﴿وَيَعۡلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعۡلِنُونَۚ﴾ على شمول علم اللّه تعالى، فجمعَ طرفَي العلم للأعمال البشريّةِ؛ ليدلَّ على ما بينهما التزامًا.

بلاغةُ التَّتميم بعطفِ الإعلانِ على الإسرارِ:

عطف النَّظم الكريم فعلَ الإعلان على الإسرار في قوله تعالى: ﴿وَيَعۡلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعۡلِنُونَۚ﴾؛ تتميمًا للتَّذكير بعموم تعلُّقِ علمِه تعالى بالأعمال[1] كلِّها عظيمِها وحقيرِها، وفي التَّتميم تحذيرٌ وتخويفٌ من إضمار القبيح وإعلانِ الحسن، فالأصلُ أن يتطابقَ الظّاهرُ والباطن؛ فالمعنى: احذَروا أن تُسِرّوا غير الّذي تُعلنون، أو تُضمِروا في أنفسِكم غيرَ ما تُبدونه؛ فإنَّ ربَّكم لا يخفى عليه من ذلك شيءٌ، وهو مُحصٍ جميعَه، وحافظٌ عليكم كلَّه[2].

التَّنبيه على تعلُّقِ علمِه تعالى بكلِّ الأعمال، والتَّحذيرُ من المُخالفة بين الظّاهر والباطن

دلالةُ عطف الخاصِّ على العامِّ:

قُدِّم ذِكرُ علم اللّه تعالى لِما في السّماوات والأرض، على ذكرِ علمِه لِما يُسرُّه النّاسُ ويُعلنونه في قوله تعالى: ﴿يَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَيَعۡلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعۡلِنُونَۚ﴾، على سبيل عطف الخاصِّ

تمامُ العناية بالمُخاطَبين، وكمالُ الرِّعاية بالخلق أجمعين

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 28/ 267.

(2) ابن جرير الطبريّ، جامع البيان: 23/ 417.

على العامِّ، وذلك من باب تقديم الكلّيات على الجزئيّات، وغرضُ ذلك التَّوطئةُ للمقصود، فذِكرُ علمِه بما في السَّماوات والأرض توطئةٌ للإعلام بعلمِه لِما يُسرّون وما يُعلنون؛ للتَّحذير والتَّنبيه، وهذا من تمام العناية بالمُخاطَبين، وكمال الرِّعاية بالخلق أجمعين، فإنَّ الأمر العظيم يُمهِّدُ له ما من جنسه ليقعَ في النَّفس موقع القَبول، وليحرصَ الإنسان أن يكون عملُه الباطنُ والظّاهرُ وفقَ أمر ربِّ العالمين.

نوعُ الواو ودلالتُها:

الواوُ في قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ عاطفةٌ على جملة: ﴿يَعۡلَمُ﴾، وفي كثرة المعطوفات إشارةٌ إلى المُبالغة في صفة العلم الّذي يورِثُ المهابةَ من العليم الخبير.

نكتةُ إظهار اسمِ الجلالة:

بيانُ العلّة مع استقلال الجملة وتربية المهابة

أُظهر اسمُ الجلالةِ (اللّه) بدلًا الإتيان بالضَّمير (هو) لتقرير ما قبله، كالدّليل عليه، ولأنّه إذا علم السّرائر، وخفيّات الضّمائر، لم يخفَ عليه خافيةٌ من جميع الكائنات[1]، ولتأكيد استقلالِ الجملة[2]، فإنَّ الإظهار يُشعِرُ بالاستقلال، ولتربية المهابة في النّفوس بذكر الاسم الأعظم.

غرضُ التَّعبير بالجملة الاسميّة في الفاصلة:

تشاكلُ الفاصلة مع أخواتها في الاسميّة مع شموليّة العلم

جاءت فاصلة الآية: ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ جملةً اسميّةً لِما فيها من موافقة فواصل الآيات السّابقة، وهي قولُه تعالى: ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾، وقولُه: ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ﴾، وقولُه: ﴿وَإِلَيۡهِ ٱلۡمَصِيرُ﴾، فكانت الرّابعة صنوَ شقيقاتها، ولأنَّها أشدُّ وأدومُ، وأكثر ثباتًا؛ وفي هذا دليل على أنّه لا علم على الحقيقةِ إلّا علمُه، فعلمه كائنٌ بما كان ويكون وسيكون؛ مُستقرٌّ ثابت لا يزول.

(1) القاسمي، تفسير القاسمي: 9/ 243.
(2) أبو السعود، إرشاد العقل: 8/ 256.

غرضُ التّذييل بصفة العلم:

توكيدُ إحاطتِه سبحانه بجميع المُضمَرات

قولُه تعالى: ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ اعتراضٌ تذييليٌّ مُقرِّرٌ لما قبلَه من شمولِ علمِه تعالى لسرِّهم وعلنِهم؛ أي: هو محيطٌ بجميعِ المُضمرات المُستكنّة في صدورِ النّاسِ بحيثُ لا تُفارقُها أصلًا؛ فكيف يخفى عليه ما يُسرّونَه وما يُعلِنونَه[1]؟ وهو ما يدلُّ على أنَّ المقصود في سياق الآية هو علمُ السّرائر؛ لأنّها موضعُ الوهم عند كثير منَ العالمين.

فائدةُ التّعبير بصيغة المبالغة وتنكيرها:

الإشـــارةُ إلى كمال العلم مع الاتّساق لسياقِ الآية

جاءت صيغةُ المبالغة ﴿عَلِيمُۢ﴾؛ إشارةً إلى كمال العلم، وكونِه مُحيطًا بكلِّ شيء، مُحصيًا كلَّ شيء عددًا، وهذا مُناسبٌ لذكر مادّة العلم في سياقِ الآية من ذكر علم السّماوات والأرض، ثمّ علم الإسرار والإعلان؛ فكان الختام بذكر العلم التّامِّ بالأحوال والكيفيّات، فناسب ذلك تذييل الآية بصفة ﴿عَلِيمُۢ﴾، وناسبَه كذلك تنكير الكلمة الدّالُّ على الشّمول والعموم لكلّ ما في الصدور.

نوعُ الباء ودلالتُها:

علم قريبٌ من السّرائر مُطّلع على القلوب

دلّت الباء في قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ على الإلصاق، ويدلُّ على شدّة اتّصال الشّيء بالشّيء، فكأنّ الباء دالّةٌ على شدّة اتّصال علم الله بالأسرار والقلوب وما فيها، إشارةً إلى ضرورة تعظيم علم الله، والخوف منه، وأخذ الحذر من عقابه.

بلاغةُ استعمال مفردة (ذات):

تشخيصُ المقاصد والنّوايا الّتي أصبحت راسخةً في الصُّدور بأنّها ذاتٌ

مفردة (ذات) جاءت بالتّأنيث بمعنى حقيقة؛ أي: عليمٌ بحقيقة ما في الصُّدور، كما تقول العربُ: (لقيتُه ذات يوم)؛ فيُؤنِّثون؛ لأنَّ مقصدَهم: (لقيتُه مرّةً في يوم)[2]، وذات الصُّدور: هي الصُّدور؛ لأنَّ

(1) أبو السعود، إرشاد العقول: 8/ 256.
(2) ابن الجوزي، زاد المسير: 1/ 338.

ذات الشّيء نفسُه[1]، ووصفت بذلك لأنّها لتمكُّنها من الصُّدور جُعلت كأنّها مالكةٌ لها، فـ(ذات) بمعنى: صاحبة، وذكرُ الذّات للمُبالغة[2].

وتحتملُ أن تكون (ذات) بمعنى المُضمَرات ذواتِ الصّدور، فحُذِف الموصوف وأُقيمَت صفتُه مُقامه؛ أي: عليمٌ بالمُضمَراتِ صاحبةِ الصُّدور، وجُعِلَت صاحبةً للصُّدورِ؛ لمُلازمتِها لها وعدمِ انفكاكِها عنها، نحو: أصحاب الجنة، أصحاب النار[3]، ويظهرُ أنَّ هذا التّعبير يأخذ منحى التّشخيص، فإنَّ ذات الصُّدور هي المُضمرات الّتي أصبحت ثابتةً في صدور أصحابِها، فوصفت بالذّوات، ثم أُضيفت إلى الصّدور، والمعنى: أنَّ الله تعالى يعلم حقائق الصُّدور، وبواعثَ الأعمال، ومقاصدَ الأفعال.

بلاغةُ المجازِ المرسل في لفظ ﴿ٱلصُّدُورِ﴾:

أطلق النَّظم الكريم الصُّدور في قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ وأراد ما فيها، وهي القلوب، ونكتة ذلك: أنَّه لا تكاد القلوب تُفارقُ الصُّدور؛ لكونها حالّةً فيها، بل تُلازِمُها وتصاحِبُها[4]، فهو من المجاز المرسل بإطلاق المحلّ وإرادة الحالّ فيه، وإطلاق الصُّدور هو الأبلَغُ؛ لاشتمالها على القلوب، وما تستشعرُه الصُّدورُ من الارتياح للطّاعة، والانزعاج من المعصية، أو العكس، فإنَّ ضيق الصَّدر وانشراحَه أوسعُ دلالةً، وأرحبُ معنًى.

الصُّدور أوسعُ دلالةً لاشتمالها القلبَ وأسبابَ الانشراح والضّيق

❁ الفُروقُ المُعْجَميَّةُ:

الجهرُ والعلَنُ:

العلانيةُ: ضدّ السِّرّ، وأكثرُ ما يُقال ذلك في المعاني دون الأعيان، يُقال: عَلَنَ كذا، وأعلَنتُه أنا، قال تعالى: ﴿أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ

الجهر رفعُ الصّوتِ بشدّة، والإعلانُ إظهارُ الأمر بالصّوتِ وغيرِه

(1) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن: 4/ 243.
(2) الراغب، المفردات: 4/ 291.
(3) السمين الحلبي، الدر المصون: 3/ 373.
(4) الآلوسي، روح المعاني: 2/ 310.

إِسۡرَارٗا ۝٩﴾ [نوح: 9]؛ أي: سرًّا وعلانيةً، وقال: ﴿مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمۡ وَمَا يُعۡلِنُونَ ۝٦٩﴾ [القصص: 69]، أمّا الجهر فيُقال لظُهور الشَّيء بإفراطِ حاسّة البصر، أو حاسّة السمع، أمّا البصر فنحو: (رأيتُه جهارًا)، قال الله تعالى: ﴿لَن نُّؤۡمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهۡرَةٗ﴾ [البقرة: 55]، وقال: ﴿أَرِنَا ٱللَّهَ جَهۡرَةٗ﴾ [النساء: 153]، ومنه: جهَرَ البئرَ واجْتَهَرَها: إذا أظهرَ ماءها، وأمّا السّمع، فمنه قوله تعالى: ﴿سَوَآءٞ مِّنكُم مَّنۡ أَسَرَّ ٱلۡقَوۡلَ وَمَن جَهَرَ بِهِۦ﴾ [الرعد: 10][1].

ويُمكن القولُ: إنَّ الجهر لا يكون إلّا بإفراطٍ في الإسماع، أمّا العلنُ فلا يُشترط فيه ذلك، فقد يكون بإفراطِ إسماعٍ، وقد لا يكون.

القلبُ والصَّدر:

الصَّدر: موضعُ القلب، وهو أعزُّ موضعٍ في الإنسان؛ لجوارِ القلب، قال تعالى: ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعۡمَى ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَلَٰكِن تَعۡمَى ٱلۡقُلُوبُ ٱلَّتِي فِي ٱلصُّدُورِ ۝٤٦﴾ [الحج: 46]، والقلب قد يُعبّر عنه بالفؤاد والصّدر، قال الله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَۖ﴾ [الفرقان: 32]، وقال: ﴿أَلَمۡ نَشۡرَحۡ لَكَ صَدۡرَكَ ۝١﴾ [الشرح: 1]؛ يعني في الموضعَين: قلبَك، وقد يُعبّر به عن العقل، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكۡرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلۡبٌ﴾ [ق: 37]؛ أي: عقلٌ؛ لأنّ القلب محلُّ العقل في قول الأكثَرين، والفؤاد محلُّ القلب، والصّدرُ محلُّ الفؤاد[2]، كما أنّ الصّدر موطنُ الانقباض والانبساط، ويتأثّر بالمواقف، فينشرحُ لها أو يضيقُ، ولا يصلُ إلى فرطِ تأثُّر الفؤاد، أمّا القلب فموضعٌ يوصَفُ بالقسوة واللّين وكثرة التّقلُّب والتَّمكُّن، وهو محلّ العزم والفكر والعلم والقصد والشّجاعة وتعوّدِ الصّبر[3].

الصّدرُ حاوٍ للقلبِ، والقلبُ مركزُ العقل والإرادة

(1) الراغب، المفردات: (جهر)، (علن).
(2) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن: 1/ 189.
(3) إبراهيم هدهد وآخرون، موسوعة الفروق اللغوية واللمحات البلاغية: 1/ 95.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثاني والستون،
سورة المُنافِقُونَ من الآية 05 إلى سورة المُلك الآية 11
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1447هـ - 2026م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2026م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الثاني والستون، سورة المُنافِقُونَ من الآية 05 إلى سورة المُلك الآية 11
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2026.
مج. 62 ، 806 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-640-02-8
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 62 : المجلد الثاني والستون، سورة المُنافِقُونَ من الآية 05 إلى سورة المُلك الآية 11.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-640-02-8
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-5378070 بتاريخ 2026/01/07م،
الهيئة الوطنية للإعلام، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
"تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام"
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي "النجار"